

السؤال

هل يمكن أن تشرح لنا معنى اسم الله عز وجل (الباطن) ومعنى (الظاهر) ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

فسر معنى الاسمين حديث أبو هريرة رضي الله عنه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء) رواه مسلم .

فالظاهر فسره بالظهور بمعنى العلو ، والله تعالى عال على كل شيء ، وفسره بعضهم بالظهور ، بمعنى البروز : فهو الذي ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته فهو الظاهر بالدلائل الدالة عليه ، وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته فهو ظاهر مدرك بالعقول والدلائل ، وباطن لأنه غير مشاهد كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

والله سبحانه هو الظاهر بحكمته وخلقه وصنائه وجميع نعمه التي أنعم بها فلا يرى غيره ، والباطن هو المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته وكيفية صفاته عز وجل .

ونسب إلى بعض العلماء تفسير الباطن بالقرب حيث قال : الباطن : أقرب من كل شيء بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه .

وفسر الباطن بالعالم ببواطن الأمور ، فهو ذو الباطن ، وكذا هو عالم بظواهرها . قال البخاري : قال يحيى - وهو الفراء - " هو الظاهر على كل شيء علما ، والباطن على كل شيء علما " .

وفسر بعضهم : بأنه غير مدرك بالحواس كالأشياء المخلوقة التي تدرك بالحواس .

وقيل : هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم .

ومع أن هذه المعاني كلها صحيحة إلا أن الأولى الالتزام بالتفسير النبوي وهو خير ما يفسر به لأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالله تعالى . وقد قال ابن جرير : " الظاهر على كل شيء دونه ، وهو العالی فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه ، وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه " .

وذكر ابن القيم أن من جحد فوقيته فقد جحد لوازم اسمه "الظاهر" ولا يصح أن يكون الظاهر من له فوقية القدر فقط كما يقال الذهب فوق الفضة ؛ لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور بل قد يكون المرفوق أظهر من الفائق فيها ، ولا يصح أن يكون القهر والغلبة فقط وإن كان سبحانه ظاهرا بالقهر والغلبة ، فله سبحانه العلو المطلق من كل وجه وهو علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر .

واسمه سبحانه الباطن : لا يقتضي السفول ، والسفول نقص هو منزله عنه ، فإنه سبحانه العلي الأعلى لا يكون قط إلا عاليا . وقد ربط الظاهر بالباطن ، والظهور يقارنه العلو فكلمة كان الشيء أعلى كان أظهر ، وكل من العلو والظهور يتضمن المعنى الآخر ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " فليس فوقك شيء " ولم يقل : " ليس أظهر منك شيء " ؛ لأن الظهور يتضمن العلو والفوقية .

وفيه أيضا إحاطة الله تعالى بالعالم وعظمته سبحانه واضمحلال كل شيء عند عظمته ، هو الباطن سبحانه يدل على اطلاعه على السرائر والضمائر والخبايا ودقائق الأشياء .